عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ ﷺ،

١ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ،

٢ قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»(١١٠).

(١١٠) رواه أحمد (١٨١٦٧)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، والترمذيُّ (٣٣٧٥)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٩١).

آيات

- ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].
- ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].
- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].
- ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الراوي

هو: عبدُ الله بنُ بُسْرٍ المازنيُّ ﷺ، أبو صفوانَ، له ولأبيه وأمِّه وأخيه وأُخته صُحبةٌ ﷺ، وضع النبيُّ ﷺ يده على رأسه ودعا له، وصلَّى مع رسول الله ﷺ إلى القِبْلتين، نَزَل الشامَ، وغزا قُبرصَ مع معاويةَ بنِ أبي سفيانَ ﷺ في عهد عثمانَ ﷺ، وهو آخر من مات من الصحابة ﷺ بالشام، توفِّي سنةَ (٩٦هـ)، وعمرُه مِائةُ عام[1].

خلاصة

جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ يشكو إليه كثرة السُّنَنِ والنوافل عليه، ويسأله أن يَدُلَّه على عملٍ عظيمٍ يتمسك به ويعظم أجره، فدلَّه ﷺ على الذِّكر.

(١) يراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣/ ١٥٩٥)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/ ٨٧٤)، «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (٣/ ١٨٥)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٤/ ٢٠).

١ جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ يشكو إليه كثرة النوافل والسُّنَنِ حتى عجز عن أدائها كلِّها، وطلب من النبيِّ ﷺ أن يخبره بعملٍ من تلك السُّنن التي يعظم أجرها ويدرك بها ما فاته من أجور النوافل والسُّنَن، ليتمسك به ويحرص عليه.

٢ ولا يُفهم من كلامه هذا أنَّه يشمل الفرائض كذلك؛ إذ لا يُتصور ذلك منه، ولا أن يُقرَّه عليه النبيُّ ﷺ، كما أنَّ جميع النوافل لا تسدُّ مسدَّ فريضةٍ واحدة(١١١).

٣ فأمره النبيُّ ﷺ بكثرة ذكر اللهِ سبحانه، وأن يظل لسانُه رطبًا نَدِيًّا بذكره تعالى، فيداوم عليه ليلًا ونهارًا.

٤ وإنما اختار له ﷺ الذكرَ لسهولته وخفَّته على اللسان، ولعظيم أجره؛ فقد قال ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُم؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»(١١٢).

٥ ويكفي في فضل الذِّكر أنَّ اللهَ سبحانه يقول في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(١١٣)

(١١١) «كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه» لنور الدين السنديِّ (٢/ ٤١٨).

(١١٢) رواه أحمد (٢١٧٠٢)، والترمذيُّ (٣٣٧٧).

(١١٣) رواه مسلم (٢٦٧٥).

١ (١) إذا تكاثرت عليك الطاعات والنوافل، فتحرَّ أفضلَها جزاءً واغتنم وقتك بها.

٢ (١) ينبغي على الدُّعاةِ أن يبينوا للنَّاس ثواب الطاعات والنوافل حتى يحفزهم ذلك على المداومة عليها.

٣ (١) على الدُّعاة والمُرَبِّين أن يتخيروا للنَّاس من النَّوافل ما يليق بحالهم، ويعظم أجره عند اللهِ تعالى.

٤ (٢) ما أيسرَ عبادة الذكر! يؤديها العبدُ من غير مشقةٍ أو تعبٍ. فالسعيد مَن حرص على مثل تلك العبادة.

٥ (٢) داوِم على ذكر اللهِ سبحانه؛ فبالذكر تُغفر الذنوب، وتُرفع المراتب، ويُطرد الشيطان، ويرضى الرحمن، وتُكشف الكُرَب، وتزول الهموم، ويُبارَك في الرزق، ويَقوى القلبُ والبدن.

٦ (٢) آية المحبة: الذكرُ وعدم النسيان. فاختبر قلبَك أتراك مُحِبًّا دائم الذكر لربك أم مُدَّعِيًا تلك المحبة؟

٧ (٢) الذكر مراتب؛ فأعلاها أن تذكرَ اللهَ تعالى بقلبك ولسانك، ثم أن تذكره بقلبك، ثم أن تحرك لسانك بذكره من غير تفكُّرٍ. وبين كلِّ مرتبةٍ بونٌ بعيدٌ وأجرٌ عظيم.

٨ (٢) الذكرُ حياةُ القلوبِ، ولهذا قال ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»(١١٤).

قال الشاعر:

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ يا طالبَ الأَجْرِ ... وَيا راغِبًا في الخَيْرِ والفَضْلِ والبِرِّ
عليكَ بِهِ تُعطَى الرغائبَ كلَّها ... وتُكفى به كلَّ المُهِمَّات والضُّرِّ
فمَنْ يَذْكُرِ الرحمنَ فَهْوَ جَلِيسُهُ ... ومَنْ يَذْكُرِ اللهَ يُكافِئْهُ بالذِّكْرِ
ومَنْ يَعْشُ عن ذِكْرِ الإلهِ فإنه ... قَرِينٌ له الشَّيْطَانُ في داخِلِ الصَّدْرِ
ومَن يَنْسَ مَوْلاهُ الكَرِيمَ فَرَبُّهُ ... له ناسيًا، أَعْظِمْ بذلك من خُسْرِ!
له استحوَذَ الشَّيْطَانُ نسَّاهُ ذِكْرَ مَنْ ... تفضَّلَ بالإيجادِ في أوَّلِ الأمرِ

(١١٤) رواه البخاريُّ (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).